الحصة 01:

اللغة عند ابن جنّي، وإدوارد سابير، ونوم تشومسكي: دراسة مقارنة

تُعَدّ اللغة من أكثر الظواهر الإنسانية تعقيدًا وإثارةً للبحث، وقد شكّلت محورًا أساسيًا لدراسات عدد من كبار الألسنيين عبر التاريخ. من بين هؤلاء **ابن جنّي** في التراث العربي، و**إدوارد سابير** في اللسانيات الأنثروبولوجية، و**نوم تشومسكي** في اللسانيات التوليدية الحديثة. ورغم تباعد سياقاتهم التاريخية والفكرية، فإنهم اشتركوا في وضع أسس نظرية للغة بوصفها نظامًا معرفيًا واجتماعيًا وقابلًا للتحليل العلمي.

أولًا: اللغة عند ابن جنّي

يُعَدّ ابن جنّي (ت. 392هـ) أحد أبرز علماء اللغة في التراث العربي. وقد تناول اللغة في كتابه *الخصائص* تناولًا فلسفيًا ولسانيًا عميقًا. ومن أهم أفكاره:

1. **تعريف اللغة**
عرّف اللغة بأنها» *أصواتٌ يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم*«، وهو تعريف يُبرز الطبيعة الصوتية والوظيفة التواصلية للغة.
2. **الخلاف بين التوقيف والاصطلاح**
ناقش ابن جنّي أصل اللغة بين التوقيف والإصطلاح، ورجّح جانب الاصطلاح مع إشارته إلى احتمال التوقيف الإلهي في الأصل.
3. **اللغة نظام صوتي**
اهتم اهتمامًا بالغًا بالأصوات، فدرس مخارجها وصفاتها، وبيّن علاقتها بالدلالة، وسبق بذلك كثيرًا من الاتجاهات الصوتية الحديثة.
4. **الاشتقاق والمجاز**
اعتبر ابن جنّي أن تغير البنية أو الصوت قد يؤدي لتغير المعنى، مما يكشف وعيًا مبكرًا بظاهرة التحول الدلالي.

ابن جنّي يمثّل مرحلة ناضجة في الفكر اللغوي العربي، تقوم على العقلية الاستنباطية، والربط بين الصوت والمعنى والبنية.

ثانيًا: اللغة عند إدوارد سابير

يعرّف **إدوارد سابير** اللغة بأنها» *وسيلة غير فطرية خاصة بالإنسان، يستخدمها لإيصال الأفكار والمشاعر والرغبات، عبر رموز يؤديها بصورة اختيارية وقصدية* «.ومن هذا التعريف يمكن استخلاص مجموعة من القضايا الأساسية المتعلقة باللغة:

1. **اللغة كوسيلة للاتصال**
اللغة أداة من أدوات الاتصال البشري، تختص بالإنسان دون غيره من الكائنات، إذ تمكّنه من التعبير عن أفكاره ومشاعره والتواصل مع الآخرين.
2. **اللغة ليست فطرية**
اللغة تُكتسب من البيئة والمجتمع، وليست غريزية عند الإنسان. فالإنسان لا يولد متحدثًا بلغة معينة، وإنما يكتسبها من المحيط الذي ينشأ فيه ومن خلال تفاعله مع أفراد المجتمع.
3. **إيصال الأفكار والمشاعر**
اللغة وسيلة لنقل الأفكار والعواطف والمشاعر، سواء كانت خاصة بالفرد أو عامة، كما تعبّر عن رغبات الإنسان واحتياجاته.
4. **التجريد والرمزية**
الأفكار والمشاعر والرغبات تتحوّل إلى رموز لغوية، ما يجعل اللغة نظامًا تجريديًا. الرموز ليست عشوائية بالكامل، لكنها تخضع لاتفاق اجتماعي يسمح بالتفاهم بين الأفراد.

5. **القصدية والدلالة**
الرموز المستخدمة تحمل دلالات مقصودة، ويتطلب ذلك وعيًا من المرسل وفهمًا من المستقبل، لضمان نجاح الاتصال وتحقيق الفهم المتبادل.

من خلال هذه القضايا، يظهر أن سابير نظر إلى اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية وثقافية، تعتمد على الاختيار البشري والوعي، ولا تقتصر على كونها مجرد أصوات أو إشارات فطرية.

ثالثًا: اللغة عند نوم تشومسكي

نوم تشومسكي أحدث ثورة في الفكر اللغوي من خلال نظريته **النحو التوليدي التحويلي** .أهم أطروحاته:

1. **اللغة ملكة فطرية**
يرى أن الطفل يولد مزوّدًا بآلية لغوية (Language Faculty) تُمكّنه من اكتساب اللغة بشكل طبيعي.
2. **القواعد الكلّية(Universal Grammar)**
هناك مبادئ مشتركة بين كل لغات العالم، وهي بنية عميقة في العقل البشري.
3. **الكفاءة والأداء**
ميّز بين (الكفاءة اللغوية) *المعرفة الداخلية بالنظام*(، والأداء) *الاستخدام الفعلي للغة*
4. **الإبداع اللغوي**
الإنسان قادر على إنتاج جمل لانهائية لم يسمعها من قبل، وهذا يدل على أن اللغة ليست محاكاة بل توليدًا عقليًا.

تشومسكي نقل اللسانيات من درس اللغة كمجموعة أصوات ودلالات إلى درسها كبنية معرفية عقلية فطرية.

رابعًا: مقارنة بين الثلاثة

العنصر	ابن جنّي	سابير	تشومسكي
مفهوم اللغة	أصوات للتعبير عن المقاصد	وسيلة اجتماعية وثقافية غير فطرية	نظام فطري عقلي توليدي
منهج الدراسة	تحليل صوتي وصرفي ودلالي	أنثروبولوجي ثقافي	معرفي عقلي رياضي
أصل اللغة	اصطلاح مع احتمال التوقيف	اكتساب اجتماعي من البيئة	قدرة فطرية بيولوجية
وظيفة اللغة	التعبير والدلالة	الاتصال ونقل الأفكار والمشاعر	توليد جمل غير محدودة
الدلالة والرمزية	مبنية على العلاقة بين الصوت والمعنى	رموز ذات دلالة مقصودة وقصدية	دلالة ناشئة عن القواعد الداخلية

رغم اختلاف منطلقاتهم، يجتمع هؤلاء العلماء على أن اللغة ظاهرة إنسانية مركّبة، تجمع بين العقل والمجتمع والصوت والمعنى، وأن دراسة اللغة تتطلب مقاربات متعددة بين التحليل الصوتي والدراسة الثقافية والمعرفة العقلية.